موقف المحدثين من التَّنْغيم عند النُّحويّين القدماء

الكلمات المفتاحيَّة:

(التَّنْغيم، المحدثين، النّحويين، القدماء)

م. د. علاء حسن مشكور

جامعة الإمام جعفر الصّادق

كليّة الآداب/ قسم اللُّغة العربيَّة

The position of the modern linguists on the intonation of the ancient grammarians

Key words:

(intonation, modern linguists, grammarians, ancient)

Dr. Alaa Hasan Mashkoor

University of Imam Jafar Al Sadeq- College of Literature

الملخص

بحث كثيرٌ من المحدثين العرب مفهوم التَّنْغيم عند النَّحويّين القدماء، وقد ألقينا الضَّوءَ على تلك الدّراسات في محورين: المحور الأوّل: موقف المحدثين من المصطلحات الدّالة على التَّنْغيم عند النَّحويّين القدماء، إذ يرى كثيرٌ من المحدثين أنّ النَّحويّين كانت لهم درايةٌ بالتَّنْغيم، وإنْ لم يُنَظِّروا له في كتبهم، ومن الأدلّة عل ذلك أنّ بعضهم استعمل عددًا من المصطلحات للدّلالة على التَّنْغيم، وأثره في تغيير المعنى في الجملة، لاسيَّما عند سيبويه وابن جنّيّ، وعليهما كان مدارُ بحثنا في مسألة المصطلحات الدّالة على التَّنْغيم. أمّا المحور الثّاني، فقد بحثنا فيه موقف المحدثين من عدمِ وضعِ النَّحويّين قواعدَ للتَّنْغيم في دراساتهم، إذ كانت دراساتهم النَّحويّة دراساتٍ تركيبيّة خالصة. وقد وجَّهَ عددٌ من المحدثين نقدًا إلى النَّحويّين بسبب عدم التّقعيد للتَّنْغيم في العربيَّة الفصحى. وحاول بعضهم معرفة الأسباب التي دعتِ النَّحويّين إلى عدمِ دراسة التَّنْغيم في العربيَّة والتَّقعيد له. وكذلك النَّتائج التي ترتَّبَت على ذلك.

Abstract

The many Arabs linguists studied the concept of intonation in ancient Arab scholars. We have shed the light on this study within two axes: The first axis, the position of modern Arab linguists on the terminology indicative of intonation to grammarians. Many moderns believe that grammarians were familiar with intonation, Even if they do not include the rules of intonation in their books, because they used a number of terms to indicate intonation. Especially when Sibawayh and Ibn Jinni. As for the second axis, the position of modern Arab linguists on leaving rules for intonation by grammarians. A number of them criticized the ancient grammarians for not establishing rules for intonation. Some Modern Arab linguists have tried to find out the reasons for grammarians not to study the intonation in Arabic .As well as the results, that resulted from that.

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١/ رمضان ١٤٤٢

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١ / رمضان ١٤٤٢

مقـدّمة

التَّنْغيمُ (Intonation) من مباحثِ علـم الأصـوات اللُّغويّـة الحديثـة، الـذي أنتجتـه اللّسانيّات الغربيَّة، والفرعُ الذي يختصُّ بدراسةِ التَّنْغيم في علـم الأصـوات اللُّغويّـة، هـو علم الفونولوجيا (Phonology)، الذي تأصّلَ في مدرسة (براغ)، في العام ١٩٢٨م.

وأوَّلُ من أدخل مصطلح (Intonation) إلى الدَّرس الصَّوتيّ العربيّ الحديث، هـو د. إبـراهيم أنـيس، في كتابـه الأصـوات اللُّغويّـة، صـدر فِي العـام ١٩٤٧، ويعـدُّ د. تمّـام حسّان، ود. كمال بشر، من أوائل الرّوّاد الذين بحثوا التَّنْغيم في الدَّرس الـصَّوتيّ العربـيّ الحديث على نحوٍ معمَّق، كونه قرينـة مهمَّـة في الكـشفِ عـن المعنـى للكـثيرِ مـن التَّراكيـبِ النَّحويّة. وقد درسَ كثيرٌ من المحدثين العرب مفهوم التَّنْغيم عند القدماء، لَاسيّما في عقـد التّسعينات وما تلاه على نحوٍ لافـت، وكانـت أغلـبُ تلـك البحـوث منـصبَّةً علـى تقـديم الأدلَّـة علـى معرفـةِ علمـاء العربيَّـة القـدماء بمفهـوم التَّنْغـيم، وأثـره في توجيـه المعنـى في الجملة، لاسيّما عند النَّحـويّين والقُـرّاء. واللّافـتُ في البحـوثِ الـتي درسـت التَّنْغـيم عنـد النَّحويّين القدماء، أنّ اللَّاحقَ يأخذُ عن السّابق في مسألتين: الأولى: المصطلحات الدّالـة على التَّنْغيم، وكـأنَّ هـذه المـصطلحات مُسلَّمٌ بـدلالتها علـى مفهـوم التَّنْغـيم، والثّانيـة: اعتمادُ الشَّواهدِ الشّعريّة نفسها، والتي لا تَتَّضحُ دلالتها إلّا عن طريقِ التَّنْغيم.

أمّـا مـا يخـصُّ المـصطلحات الدّالـة علـى التَّنْغـيم، فقـد انحـصرَ البحـثُ فيهـا علـى المصطلحاتِ الـواردة عنـد سيبويه وابـن جنّـيّ، وهـي الـتي اعتمـد عليهـا أغلـبُ المحـدثين الذين بحثوا هـذه المسألة، لإثبـاتِ معرفـةِ النَّحـويّين القـدماء بمفهـوم التَّنْغـيم، وقـد ذكرنـا النُّصوص الواردة عند سيبويه وابن جنّـيّ الـتي جـاءت فيهـا تلـك المـصطلحات علـى نحـوٍ يُبرزُ دلالة تلـك المـصطلحات، والـتي بلـغ عـددها ثلاثـة عـشر مـصطلحًا. وأمّـا مـا يخـصُّ اعتماد الشَّواهدِ الشّعريّة نفسها عند أغلـبِ المحـدثين، فقـد كـشفت عـن النَّقـدِ الموجَّـهِ مـن بعض المحدثين العرب إلى النَّحويّين القدماء؛ لأنّ تركهم قواعد التَّنْغيم في العربيَّـة –كمـا يرون–، أحدثَ لبسًا في فهم المعنى لبعض التَّراكيـب النَّحويّـة، فـضلًا عـن محاولـة بعـض المحدثين معرفة الأسباب الـتي دعـت النَّحـويّين القـدماء إلى تـركِ دراسـة التَّنْغـيم في العربيَّـة الفـصحى، والتَّقعيـد لـه في دراسـاتهم النَّحويّـة، علـى الـرَّغمِ مـن أنّـه –يعـدُّ في كـثيرٍ مـن التَّراكيبِ–الفيصل في توجيه المعاني التي يقصدها المتكلّم.

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١/ رمضان ١٤٤٢

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١ / رمضان ١٤٤٢

توطئة: التَّنْغيم (Intonation):

يُعرَّفُ التَّنْغيم بأنَّهُ: "رفعُ الصَّوتِ وخفضُهُ في أثناءِ الكلام، للدَّلالة على المعاني المختلفة للجملةِ الواحدة"(١).

ويُعرَّفُ بأنَّهُ "النَّغَماتُ الموسيقيَّة المُنتظمة، والمتتابعة في حدثٍ كلاميّ معيَّن، وهذه الظّاهرة الصَّوتيَّة تصاحبُ التَّراكيب، وتساعدُ على فهم معنى الكلام"(٢).

وللتَّنْغيم عدَّةُ درجات، هي: النَّغمة المستوية، والنَّغمة الصّاعدة، والنَّغمة الهابطة، والنَّغمة الهابطة الصّاعدة، والنَّغمة الصّاعدة الهابطة، وتختلفُ هذه الدَّرجات بحسبِ كلّ لغةٍ(٣).

تقسيم اللُّغات على أساس التَّنْغيم(٤):

أوَّلًا: لغاتٌ نغميَّةٌ (Tone Languages)، يكون ذلك على مستوى الكلمة الواحدة، إذ يؤدّي اختلافُ درجةِ الصَّوتِ في الكلمة إلى التَّمييزِ بين كلمةٍ وأخرى، أشهرُها اللُّغة الصّينيَّة التي تستعملُ نظامًا من أربع نغمات.

ثانيًا: لغاتٌ تنغيميَّةٌ (Intonation Languages)، يكون ذلك على مستوى الجملة، إذ يؤدّي اختلافُ درجةِ الصَّوتِ في الكلامِ المتَّصل إلى التَّفريق بين المعاني المختلفة للجملة، إذا كانت جملةً خبريّةً أو إنشائيّة، والكثيرُ من لغاتِ العالم لغاتٌ تنغيميَّةٌ.

(١) المدخل إلى علم اللُّغة ومناهج البحث اللُّغويّ: ١٠٦.
(٢) المصطلح الصّوتيّ عند علماء العربيَّة القدماء: ١٩٧.
(٣) ينظر: دراسة السَّمع والكلام: ٢٢٢، وعلم الصَّوتيّات: ٣٢٠.
(٤) ينظر: دراسة السَّمع والكلام: ٢٢١–٢٢٢.

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١/ رمضان ١٤٤٢

وظائف التَّنْغيم[1] :

أوَّلًا : الوظائفُ النَّحويَّة، يميّزُ التَّنْغيمُ بين نوعين من الجمل :

١- الجملُ الخبريَّة، تكون بنغمةٍ هابطة، أو مستوية.
٢- الجملُ الإنشائيَّة، تكون بنغمةٍ صاعدة، مثل : الاستفهام والنّداء والتّعجُّب والتَّحذير والأمر والنَّهي، وغيرها من الأساليب.

ثانيًا : الوظائف الانفعاليَّة أو التَّعبيريَّة، يساعدُ التَّنْغيمُ في بيان الحالة النَّفسيَّة للمتكلّم، مثل : الغضب والفرح والحزن والدَّهشة والتّأمُّل، وهي تتَّصلُ بالمتكلّم أكثر من اتّصالها بنظامِ اللُّغة، وغالبًا ما تكونُ مصحوبةً بتنْغيمٍ صاعد.

(١) ينظر: علم الصّوتيّات: ٣٢٢.

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١ / رمضان ١٤٤٢

«المحور الأوَّل»

موقف المحدثين من مصطلحات النحويّين الدالّة على التنغيم

يكادُ كلُّ المحدثين الذين بحثوا هذه المسألة لا يخرجون عن المصطلحاتِ الواردة عند سيبويه، وابن جنّيّ:

- **رأي المحدثين في دلالةِ المصطلحاتِ الواردةِ عند سيبويه(ت١٨٠ه):**

أوَّلًا: (التَّرَنُّم)، و(مدُّ الصَّوت): "أمّا إذا **ترنَّموا**، فإنَّهم يُلحِقون الألف والياء والواو، ما ينوَّنُ وما لا ينوَّن؛ لأنَّهم أرادوا **مدَّ الصَّوت**"[(١)]. وفي موضعٍ آخر: "اعلم أنّ المندوبَ مدعوٌّ، ولكنَّهُ متفجَّعٌ عليه، فإن شئتَ ألحقتَ في آخرِ الاسم الألف؛ لأنّ النُّدبة، كأنَّهم **يترنَّمون** فيها"[(٢)].

وقد ذكر ابنُ يعيش (ت ٦٤٣هـ)، مصطلحي: (التَّرَنُّم)، و(مدّ الصَّوت)، في بابِ النُّدبة أيضًا، فضلًا عن مصطلح: (التَّطريب)[(٣)]. ومصطلحُ (التَّرَنُّم) مرادفٌ لمصطلح (التَّطريب)[(٤)]. وقد ذهب كثيرٌ من المحدثين العرب إلى أنّ مصطلحي (التَّرَنُّم)، و(مدَّ الصَّوت) عند سيبويه يدلّان دلالةً واضحةً على مفهوم التَّنْغيم، وأثره في توجيه المعنى النَّحويّ، وذلك عن طريقَ رفع الصَّوت (النّغمة الصّاعدة)[(٥)].

وأرى أنّ مصطلحَ (مدّ الصَّوت) هو المصطلحُ الأقرب لمفهوم التَّنْغيم من مصطلح (التَّرَنُّم)[(٦)].

---

(١) الكتاب: ٤ / ٢٠٤.

(٢) الكتاب: ٢ / ٢٢٠.

(٣) ينظر: شرح المفصَّل: ١ / ٢٨٧.

(٤) ينظر: لسان العرب: مادّة (رنم): ٤ / ٢٦٣.

(٥) ينظر: من وظائف الصّوت اللُّغويّ: ٥٨، وعلم الأصوات الكلاميَّة: ٢٤٤، وظاهرة التَّنْغيم في التُّراث العربيّ: (بحث): ٩٣.

(٦) "التَّرنُّمُ: التَّطريبُ والتَّغنّي وتحسينُ الصّوتِ بالتّلاوة ... وترنَّمَ إذا رجَّعَ صوتَهُ ... وترنَّمَ الحمامُ والقوسُ والعودُ، وكلُّ ما استُلِذَّ صوتُهُ، وسُمِعَ منه رَنَمَةٌ حَسَنَةٌ". لسان العرب: مادَّة (رنم): ٤ / ٢٦٣.

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١ / رمضان ١٤٤٢

وتتَّضحُ في أسلوب النُّدبة وظيفةُ التَّنْغيم (الانفعاليَّة أو التَّعبيريَّة)، عن طريق المدّ الصَّوتيّ في آخر الاسم المندوب، والذي ينسجمُ مع المدّ الصَّوتيّ الذي يسبقه، والمتَمثّل بـ (يا) أو(وا)، وهذان المدّان يكشفان عن الحالةِ النَّفسيَّة للمتكلّم، إذ يستعينُ باستطالةِ النَّفَس، لتخفيف حالة الألم والحزن اللَّتين يعاني منهما[1].

ثانيًا: (الإشباع): "هذا بابُ الإشباعِ في الجرّ والرّفع، وغيرُ الإشباع، والحركةُ كما هي، فأمّا الذين **يُشْبِعون** فَيُمَطّطُون، وعلَامتها واوٌ وياءٌ"[2].

ذهب د. خليل إبراهيم العطيَّة إلى أنّ ما سمّاه سيبويه بالإشباع، يدلُّ على فهمٍ واستيعابٍ لمسألةِ التَّنْغيم، عن طريق إطالةِ الكميَّةِ الصَّوتيّةِ للحركات، فتصبحُ الكسرةُ ياءً، والضّمّةُ واوًا، والفتحةُ ألفًا[3].

وترى د. آمنة بن مالك أنّ "الإشباعَ عنصرٌ موسيقيٌّ في الكلام يُحدِثُ نغمةً قد تطولُ، وقد تقصرُ"[4].

أرى أنّ (الإشباع) في نصّ سيبويه لا يدلُّ على التَّنْغيم، بل إنّ دلالتَهُ دلالةٌ صوتيَّةٌ خالصةٌ، وسنكملُ النَّصَّ أعلاه؛ لنتبيَّن ما قصدَهُ سيبويه بمصطلح الإشباع: "وهذا تحكمُهُ لك المُشافهة، وذلك قولك: يَضْرِبُها، ومِنْ مأْمَنكَ. وأمّا الذين لا يشبعون فيختلسون اختلاسًا، وذلك قولك: يَضْرِبُها، ومنْ مأْمَنكَ، يُسرِعون اللَّفظ"[5].

فأين هو ارتفاعُ الصَّوتِ وانخفاضُهُ في تلك التَّراكيب للدَّلالةِ على معانٍ معيَّنةٍ يقصدها المتكلّم؟

(١) ينظر: أسلوب النّداء، دراسةٌ لغويَّةٌ صوتيَّةٌ (بحث): ١٠١، والدّراسات الصَّوتيَّة عند العلماء العرب والدَّرس الصَّوتيّ الحديث: ٢٤٤.

(٢) الكتاب: ٤/ ٢٠٢.

(٣) ينظر: في البحث الصّوتيّ عند العرب: ٦٨.

(٤) ظاهرة التَّنْغيم في البحث الصّوتيّ بين القديم والحديث(بحث): ٣٩.

(٥) الكتاب: ٤/ ٢٠٢.

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١/ رمضان ١٤٤٢

ولم أجدْ أحدًا من المحدثين ذكر أنّ مصطلح (التَّمْطيط) الوارد في نصّ سيبويه قد دلَّ على التَّنْغيم، لكنَّهم قالوا إنَّهُ يدلُّ على التَّنْغيم عند ابن جنّيّ، كما سنرى في مصطلحاته.

- **رأي المحدثين في دلالةِ المصطلحاتِ الواردةِ عند ابن جنّيّ (ت٣٩٢ه):**

أوّلًا: (التَّطويح)، و(التَّطريح)، و(التَّفخيم)، و(التَّعظيم): "وقد حُذِفَت الصّفةُ ودلَّ عليها الحال، وذلك فيما حكاه صاحبُ الكتاب من قولهم: سيرَ عليه ليلٌ، وهم يريدون: ليلٌ طويلٌ، وكأنّ هذا إنّما حُذِفَت فيه الصّفة، لِما دلَّ من الحال على موضعها، وذلك أنّك تحسُّ في كلام القائل لذلك من **التَّطويح والتَّطريح والتَّفخيم والتَّعظيم**، ما يقومُ مقامَ قولِهِ: طويلٌ أو نحو ذلك"[(١)].

طَوَّحَ الشّيء: ذهب به من هنا وهناك[(٢)]. وطَرَّحَ الشّيء: طوَّلَه، وأعلاه[(٣)]. والتَّفخيمُ مرادفٌ للتَّعظيم: "التَّفخيمُ: التَّعظيمُ، وفخَّمَ الكلامَ: عظَّمَهُ"[(٤)].

يكادُ كلُّ الذين تناولوا مسألة التَّنْغيم عند النَّحويّين القدماء يذكرون نصَّ ابن جنّيّ هذا، لإثباتِ معرفة النَّحويّين بالتَّنْغيم، وقد أكَّدَ د. خليل إبراهيم العطيَّة أنّ "ألفاظ التَّطْويح، والتَّطْريح، والتَّفخيم، تشيرُ من خلال معانيها اللُّغويَّة إلى رفعِ الصَّوتِ وانخفاضه، والذَّهاب به كلَّ مذهب"[(٥)].

ويشرحُ د. مبارك حنون ذلك على نحوٍ مفصّل: "إنّ الأمرَ يعني أنْ يذهبَ الصَّوتُ وأنْ يجيءَ في الهواء، وأنْ يطولَ ويُرفَعَ ويعلو ويزدادَ في مدّه، أي أنّ المتكلّمَ يُحدِثُ تغييراتٍ في طبقةِ الصَّوت، ومن شأنِ هذه التَّغييرات في طبقةِ الصَّوت أنْ تقومَ على

(١) الخصائص: ٢/ ٣٧٠–٣٧١.
(٢) ينظر: لسان العرب: مادّة (طوح): ٥/ ٦٥٧.
(٣) ينظر: لسان العرب: مادّة (طرح): ٥/ ٥٨٠.
(٤) لسان العرب: مادّة (فخم): ٧/ ٣٩.
(٥) في البحث الصّوتيّ عند العرب: ٦٧–٦٨.

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١/ رمضان ١٤٤٢

مستوى التَّركيب مقامَ الصّفةِ التي حُذِفَت، ومن شأنها ثانيًا أنْ تقومَ بدورٍ دلاليّ يناسبُ التَّغييرات الحادثة في طبقةِ الصَّوت"[1].

وقد أكَّدَ د. كمال بشر أنّ "هذا النَّصّ لا يقتصرُ على تأكيد وعي ابن جنّيّ بموسيقى الكلام ودور نغماتها ولحونها في الفهم والإفهام، وتنميطِ تراكيب الكلام إلى أجناسها التَّركيبيَّة والدَّلاليَّة، وإنّما تعدّى ذلك إلى ما هو أعمقُ وأشملُ، إنّ هذا النَّصَّ في مجملِهِ يشيرُ –وإنْ بلمحاتٍ خاطفة– إلى مسألةٍ ذاتِ بال في الدَّرس الصَّوتيّ في عمومه، وهو ما اصطُلِحَ عليه الآن (بفن أداء الكلام)، ومعناه أنّ الكلامَ الصّحيح بنغماتٍ مختلفات، تكون منتظمة لظواهر صوتيَّة أخرى، من نبرٍ وتطريزٍ وتفخيمٍ لبعض الأصوات، أو المقاطع، وفقًا للمقصود، وطبقًا لمقتضى الحال"[2].

ثانيًا: (التَّمْطيط)، و(إطالة الصَّوت): "وأنت تحسُّ هذا من نفسك إذا تأمّلتَهُ، وذلك أنْ تكون في مدحِ إنسان والثَّناءِ عليه، فتقول: كان والله رجلًا! فتزيدُ في قوَّةِ اللَّفظِ بـ(الله) هذه الكلمةَ، ولتُمكّنَ في **تَمْطيطِ** اللَّام، و**إطالةِ الصَّوت** بها وعليها، أي رجلًا فاضلًا أو شجاعًا أو كريمًا، أو نحو ذلك. وكذلك نقولُ: سألناه فوجدناه إنسانًا، وتمكّنُ الصَّوت بإنسان وتفخّمَهُ، فتستغني بذلك عن وصفه، بقولك: سَمْحًا أو جوادًا، أو نحو ذلك. وكذلك إنْ ذممتَهُ ووصفتَهُ بالضّيق، قلت: سألنا وكان إنسانًا! وتزوي وجهكَ وتقطّبَهُ، فَيُغني ذلك عن قولك: إنسانًا لئيمًا، أو نحو ذلك"[3].

التَّمْطيطُ: التَّمديدُ، "والمَطْمَطَةُ: مدُّ الكلام وتطويله. ومطَّ شِدقَهُ: مدَّ في كلامه، وهو المطَطُ"[4]. فالتَّمطيطُ مرادفٌ لإطالةِ الصَّوتِ في نصّ ابن جنّيّ. وقد ذكر هذا النَّصَّ كثيرٌ من المحدثين، لإثباتِ معرفةِ النَّحويّين القدماء بالتَّنْغيم[5].

(١) في التَّنظيم الإيقاعيّ للُّغة العربيَّة: ٣٥.
(٢) علم الأصوات: ٥٥١.
(٣) الخصائص: ٢/ ٣٧١.
(٤) لسان العرب: مادَّة (مطط): ٨/ ٣١١–٣١٢.
(٥) ينظر: التّنْغيم عند ابن جنّيّ (بحث): ٩، والتَّنْغيم في إطار النّظام النَّحويّ (بحث): ٢٩٠، وأثر التَّنْغيم في التَّوجيه النَّحويّ والدّلاليّ (بحث): ٤.

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١/ رمضان ١٤٤٢

وترى الباحثةُ ندى صالح يوسف أنّ عبارة ابن جنّي: (فتزيدُ في قوَّةِ اللَّفظِ باللّه)، تساوي في المصطلح الحديث للتَّنْغيم: (ارتفاع الصَّوت وانخفاضه)، إذ إنّ هذه القوَّةَ لا تظهرُ في الكتابة، وإنَّما في الكلامِ المنطوق[١].

وأكَّدَ د. أحمد كشك أنّ ما ذكره ابن جنّيّ "يدلُّ على وعيٍ كاملٍ باعتبار المقام وكذلك المقال في تحديد الباب النَّحويّ، فهو يجعلُ التَّنْغيمَ وعبارات الوجه أساسًا في فهم البابِ النَّحويّ هنا، بل دليلًا كاملًا في تحديده، وذلك من خلال حديثه عن الصّفة، ففي قولِهِ: سيرَ عليه ليلٌ، وكان والله رجلًا! كان تطويح الكلام وتطريحه وتفخيمه وتعظيمه وتمطيطه وإطالته، وهذه كلُّها صورٌ تنغيميَّةٌ تدُّلُ على فهمِ الصّفة المحذوفة. وهذه الإشارةُ الذَّكيّةُ اللَّمّاحةُ كان ينقصها أنْ تُعمَّمَ من خلالِ النَّظر إلى الأبوابِ والمعاني النَّحويَّة كلّها"[٢].

وترى د. آمنة بن مالك أنّ ما ذكره ابنُ جنّيّ من مصطلحاتٍ في النَّصين السّابقين، "يعكسُ وظيفة التَّنْغيم في الاستعمال اللُّغويّ، والتي تتمثّلُ في التَّعبير عن الانفعالاتِ والتَّأثُّر، كالفرحِ والسُّرور والغضبِ والحزن، وأنَّهُ أضحى من دلائلِ فهمِ الصّفة، وهي بابٌ نحويٌّ، حيث عبَّرَ ابنُ جنّيّ عن ذلك في تَمْطيطِ اللَّام، وزوي الوجه وتقطيبه، وكلُّها من المظاهرِ التي يُستعملُ فيها التَّنْغيمُ كوسيلةٍ لفهمها"[٣].

وقد اهتمَّ عددٌ من المحدثين بما ذكره ابن جنّيّ فيما يخصُّ الايماءات التي ترافقُ التَّنْغيم، وذلك في قوله: "وكذلك إنْ ذممتَهُ ووصفتَهُ بالضّيق، قلتَ: سألنا وكان إنسانًا! وتزوي وجهَكَ وتقطّبه، فَيُغني ذلك عن قولك: إنسانًا لئيمًا، أو نحو ذلك"[٤]. إذ ربطَ ابنُ جنّيّ دلالة التَّنْغيم بحركةِ اليدين وتعابير الوجه من الايماءات بالعين والحاجب، من أجلِ إيصال المعنى الذي يقصده المتكلّم من مدحٍ أو ذمٍّ أو تعجُّب، وغيرها من الأساليب، وفقًا لَسياقِ الحال[٥]. وبذلك يكون ابنُ جنّيّ قد سبق المحدثين في

(١) ينظر: الوحدات غير المقطعيَّة في اللُّغة العربيَّة(رسالة): ١٦٩.
(٢) النَّحو والسّياق الصّوتيّ: ١٠٦.
(٣) ظاهرة التَّنْغيم في البحث الصَّوتيّ بين القديم والحديث(بحث): ٣٧.
(٤) الخصائص: ٢/ ٣٧١.
(٥) ينظر: الدّلالة الصَّوتيَّة في اللُّغة العربيّة: ١٩٩، وأثر التَّنْغيم في التَّوجيه النَّحويّ والدّلاليّ(بحث): ٤.

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١/ رمضان ١٤٤٢

مسألةِ ربط الكلام المنطوق بحركة اليدين وتعابير الوجه، لإيصال المعنى بدقّةٍ إلى المتلقّي[١].

ثالثًا: (التَّثبُّت فيه)، و(الإشباع)، و(المُمَاطَلَة)، و(التَّطَعُّم): جاء في المُحتسب: "﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾[٢]، قالوا في تفسيره: هو كقولك: (لا والله)، و(بلى والله). فأين سرعة اللَّفظ بذكر اسم الله تعالى هنا من **التَّثبُّت فيه**، و**الإشباع** له، و**المُمَاطَلَة** عليه، من قول [أبي خِراش] الهُذَليّ:

فـــو اللهِ لا أنـــسى قتـــيلًا رُزِئْتُـــهُ بجانبِ قُوْسَى[٣] مـا مـشيتُ عـلى الأرضِ[٤]

أفلا ترى إلى **تَطَعُّمِكَ** هذه اللَّفظة في النُّطقِ هنا بها، وتمطيكَ لإشباعِ معنى القسم عليها"[٥].

يرى الأستاذ أحمد البايبي أنّ هذه المصطلحات الأربعة تدلُّ دلالةً واضحةً على أثر التَّنْغيم في توجيه المعنى، فهي تُبرزُ التَّغيُّرات الحادثة في طبقة الصَّوت؛ إذ توظّفُ العربُ مَلْمَحَ الإسراع والتّأني[٦].

ولم أجدْ أحدًا من المحدثين ذكر أنّ مصطلحات (التَّثبُّت فيه)، و(المُمَاطَلَة)، و(التَّطَعُّم)، عند ابن جنّيّ تدلُّ على التَّنْغيم؟ وبالرّجوع إلى المعنى اللُّغويّ لهذه المصطلحات لم أجدْ أيَّ دلالةٍ لها على ارتفاع الصَّوت أو انخفاضه؟

(١) ينظر: الوحدات غير المقطعيَّة في اللُّغة العربيَّة(رسالة): ١٧٠.
(٢) سور البقرة: ٢٢٥، وسورة المائدة: ٨٩.
(٣) قُوْسَى: اسم بلدة.
(٤) الدّيوان: ١٢.
(٥) المحتسب: ٢/ ٢٠٩.
(٦) ينظر: التَّنْغيم عند ابن جنّيّ(بحث): ٧.

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١/ رمضان ١٤٤٢

وقد ذكرت الباحثة زلفى سليمان خالد أنّ ابن جنّيّ استعمل مصطلح(النَّغَم) للدَّلالةِ على مفهوم التَّنْغيم[1]. وذلك في النّص الآتي: "علم الأصوات والحروف، له تعلُّقٌ ومشاركةٌ للموسيقى، لما فيه من صنعةِ الأصوات والنَّغَم"[2].

أرى أنّ مصطلح(النَّغَم) في هذا النَّصّ لا علاقة له بمصطلحِ التَّنْغيم عند المحدثين، فابنُ جنّيّ يتحدَّثُ هنا عن الصَّوت المفرد، وما يرافقُهُ من نَغَمٍ أو جِرْس، وليس الكلامُ عن التَّركيبِ النَّحويّ وما يرافقُهُ من نغمةٍ صاعدة، أو منخفضة، أو مستوية، للدَّلالةِ على معانٍ معيَّنةٍ في الجملة.

وبعد عرض هذه المصطلحات، نجدُ أنّ المحدثين ذكروا أحد عشر مصطلحًا وردت عند ابن جنّيّ، أكَّدوا أنّها جاءت للدّلالةِ على التَّنْغيم، وهي: التَّطْويح، والتَّطْريح، والتَّفخيم، والتَّعظيم، والتَّمْطيط، وإطالة الصَّوت، والإشباع، والتَّثبُّت فيه، والمُمَاطَلَة، والتَّطَعُّم، والنَّغَم. فهل يمكنُ أنْ يستعملَ ابنُ جنّيّ هذا العدد من المصطلحات للدَّلالةِ على مفهومٍ واحد؟!

(١) ينظر دور التَّنْغيم في تحديد معنى الجملة العربيّة، دراسةٌ لغويَّةٌ تطبيقيَّةٌ(رسالة): ٢٧.
(٢) سرُّ صناعة الإعراب: ١/ ٩.

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١/ رمضان ١٤٤٢

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١ / رمضان ١٤٤٢

«المحور الثّاني»

موقف المحدثين من عدم وضع النحويّين قواعد للتّنغيم

يبدو أنّ أوّلَ من أثار هذه المسألة عند المحدثين العرب، هو المستشرق برجشتراسر[1]، بقولِهِ: "فنتعجَّبُ كلَّ العجبِ من أنّ النَّحويّين والمقرئين القدماء، لم يذكروا النَّغْمةَ، ولا الضَّغطَ أصلًا، غير أنّ أهل الأداء والتَّجويد خاصَّة، رمزوا إلى ما يشبه النَّغْمة، ولا يفيدنا ما قالوه شيئًا؛ فلا نصَّ نستندُ إليه في إجابة مسألة: كيف كان حال العربيَّة الفصيحة في هذا الشّأن؟"[2].

إنّ مسألة عدم وضع النَّحويّين القدماء قواعد للتَّنْغيم في العربيَّة الفصحى قد أثارت استغراب الكثير من اللُّغويّين المحدثين، وقد وجَّهَ بعضهم نقدًا إلى النَّحويّين، نذكرُ آراء عددٍ منهم:

- د. أحمد كشك: "إنّ النَّظرَ إلى التَّنْغيم باعتباره جزءًا من النّظامِ اللُّغويّ عامَّة، أو جزءًا من النّظام النَّحويّ خاصَّة، لم نجدْ له عندهم قاعدةً محدَّدَة تضعه في إطارٍ علميّ، ولم نجدْ له أحاديث كثيرة تناولته صراحةً، على الرَّغمِ من أنّ كثيرًا من نماذجِ اللُّغة تحتاجُ إليه لتفسيره... وقد باتت جملةٌ من الظَّواهرِ مرتبطةً بالتَّنْغيمِ في فهمها، لكنَّ النَّحويّين واللُّغويّين لم يربطوا تفسيرها بهذه الظّاهرة، وتاهت عنهم عند تسجيلِ قواعدهم، فلم يعطوها الأهميَّة الواجبة لها، وصارت بعضُ تعبيراتهم عن هذه الظّاهرة مدفونةً لا تقيمُ أيَّ نظام"[3].
- د. عبد القادر مرعي الخليل: "على الرَّغمِ من إدراكِ علماءِ العربيَّةِ القدماء لظاهرةِ التَّنْغيم، وأثرِ التَّنْغيم في الدَّلالةِ على المَعنى، إلّا أنّهم لم يفردوا لنا بابًا في مصنفاتهم يتحدّثون فيه عن التَّنْغيم ... وبقي هذا الجانبُ الصَّوتيّ من الكلامِ

(١) في محاضراته التي ألقاها في الجامعة المصريَّة، العام ١٩٢٩م.
(٢) التَّطوّر النَّحويّ للُّغة العربيَّة: ٧٢.
(٣) النَّحو والسّياق الصّوتيّ: ١٠٤–١٠٥.

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١/ رمضان ١٤٤٢

شبه مهمل، حتّى جاء العصرُ الحديث، فأفردَ له علماءُ اللُّغةِ المحدثون بابًا مستقلًّا في دراساتهم، وجعلوه فرعًا من فروع الدّراسات الصَّوتيَّة"[١].

- د. نادية النَّجار: "إنّ القدماء على الرَّغم من التفاتهم للتَّنْغيم، إلّا أنّهم لم يعدّوه (مَلْمَحًا تمييزيًّا)، يمثّلُ جزءًا من تركيبٍ صرفيّ أو نحويّ أو دلاليّ؛ وذلك لأنّ العربيَّة وصلت إلينا مكتوبةً، ففقدت كثيرًا من الطُّرق الأدائيّة الصَّوتيَّة، فلم يُنَظّروا لهذه الظّاهرة الصَّوتيَّة، أو يضعوا لها المصطلحات"[٢].

إنّ مسألة اللُّغة المكتوبة قد أثارت جدلًا عند عددٍ من اللُّغويّين المحدثين، من ناحية إيصالها للمعاني النَّحويَّة المختلفة التي يقصدها المتكلّم، فاللُّغة العربيَّة الفصحى وصلتنا مكتوبة، وبذلك فقدت (عنصر المقام الاجتماعيّ)؛ لأنّ التَّنْغيم لا يمكنُ التّعبيرُ عنه في النُّصوص المكتوبة إلّا عن طريق علامات التَّرقيم، وعلاماتُ التَّرقيم حديثةُ العهدِ في العربيَّة، وهي غيرُ قادرةٍ على إيصال المعنى الوظيفيّ للجملة بشكلٍ كامل، بل إنّ دلالتها تكونُ ناقصةً موازنةً باللُّغةِ المنطوقَة. وقد يرجعُ ذلك إلى أنّ ما يستعمله التّنْغيمُ من نغماتٍ أكثر ممّا يستعمله التَّرقيمُ من علاماتٍ[٣].

وقد وجَّهَ د. عبده الرّاجحيّ نقدًا شديدًا بخصوص هذه المسألة، بقوله: "إنّ النَّحو التّقليديّ لم يميّز بين (اللُّغة المكتوبة)، وبين(اللُّغة المنطوقة)، على حين أنّ لكلٍّ منهما نظامًا خاصًّا قد يختلفُ اخلافًا كبيرًا عن صاحبه، بل إنّ هذا النَّحو ركّزَ اهتمامه على اللُّغةِ المكتوبة، بل على أنواعٍ معيّنةٍ منها، وقد ترتَّبَ على ذلك، أوّلًا: أنّه قدَّمَ قواعد اللُّغة على أساسٍ معياريّ، وعلى أساسٍ جماليّ(تقييميّ)، فهذا استعمالٌ عال، وذاك متوسّطٌ، وثالثٌ قبيحٌ، وهكذا، وترتَّبَ عليه ثانيًا: أنَّهُ قدَّمَ تفسيراتٍ غير صحيحةٍ لنصوصٍ مختارة اختيارًا دقيقًا، أو لنصوصٍ موضوعة لتلائم قواعده، ومن ثَمَّ حُكِمَ على غيرِ ذلك من الاستعمال بأنّهُ شاذٌّ، أو استثنائيٌّ، أو غيرُ نحويّ"[٤].

(١) المصطلح الصّوتيّ عند علماء العربيَّة القدماء: ١٩٩.
(٢) الأصوات واللّهجات قديمًا وحديثًا: ١١٠.
(٣) ينظر: اللُّغة العربيَّة معناها ومبناها: ٢٢٦–٢٢٧، والنَّحو والسّياق الصّوتيّ: ١٠٤.
(٤) النَّحو العربيّ والدَّرس الحديث: ٤٧.

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١ / رمضان ١٤٤٢

وقد ذكر عددٌ من المحدثين شواهدَ شعريَّة لإثباتِ أنّ عدم الالتفاتِ إلى قواعدِ التَّنْغيم عند النَّحويّين القدماء، قد أدّى إلى حدوثِ لبسٍ في فهمِ دلالةِ الكثيرِ من التَّراكيبِ النَّحويّة، نذكرُ منها:

قول جميل بُثينة:

لا لا أبـــوحُ بحـــبِّ بَثْنَـــةَ إنَّهـــا أخـــذت عـــليَّ مواثقًـــا وعهـــودا[1]

وجَّهَ د. تمّام حسّان نقدًا إلى النَّحويّين بخصوص رأيهم في تكرار(لا)، بقوله: "فلو اصطنعَ النُّحاةُ لأنفسهم علاماتٍ للتَّرقيم، لوجد القارئُ نقطة الوقف بعد(لا) الأولى، ولأدركوا أنّ (لا) هذه بنفسها تُكوِّنُ جملةً مفيدةً يُستحسنُ في تَنْغيمها أنْ نقفَ عليها، لتمام الفائدة، ولما تورطوا في اعتبارها حرف نفي مؤكَّدًا توكيدًا لفظيًّا بحرفٍ على مثلِ صورتِه"[2].

ومن الشّواهدِ التي كان لقرينةِ التَّنْغيمِ فيها أثرٌ في توجيه دلالة أداة النّفي، قول الشّاعر:

لا يكـــــونُ العـــــيرُ مهـــــرًا لا يكـــــونُ المهـــــرُ مهـــــرُ[3]

أغلبُ الذين بحثوا التَّنْغيمَ عند النَّحويّين، يذكرون هذا البيت، وما جرى من خلافٍ بين الكسائيّ واليزيديّ في رفع كلمة(مهر) الثّانية، إذ رأى الكسائيُّ أنّ في هذا البيت إقواء، فكان يجبُ على الشّاعر أنْ ينصبَ الـ(مهر) الثّانية على أنّها خبرٌ لـ (كان). لكنّ اليزيديّ أثبت صحة الرّفع، فالمهرُ الثّانية خبرٌ للمهر الأولى، الذي ابتدأ بها الشّاعر، و(لا يكون) الثّانية توكيدٌ لـ (لا يكون) الأولى[4].

(١) الدّيوان: ٧٩.
(٢) اللُّغة العربيَّة معناها ومبناها: ٢٢٨.
(٣) البيت مجهول النّسبة.
(٤) ينظر: الأشباه والنَّظائر: ٣/ ٢٤٥.

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١/ رمضان ١٤٤٢

والـذي يثبـتُ قـول اليزيـديّ هـو الـسَّكْتَةُ عنـد (لا يكـون) الثّانيـة، ونطقهـا (بنغمـةٍ عالية)، منتهية (بنغمةٍ هابطة)، ثمّ الابتداء بقوله: المهرُ مهرُ[١].

وقـد ذهـب الأسـتاذ سـعيد الأفغـانيّ إلى أنّ عـدم تـسجيل قواعـد التَّنْغـيم في العربيَّـةِ الفصحى، أوجدَ لبْسًا في فهـمِ الكثيرِ مـن الجملِ الـتي وردت عـن العـرب، أهـي جملٌ تقريريَّـةٌ، أم اسـتفهاميّةٌ حُـذِفَت منهـا (الهمـزة)، أو (هـل)؟ والاسـتفهاميَّةُ اختلفـوا في دلالاتهـا، أَأُريـدَ بهـا الاسـتفهام، أم الإنكـار، أم الـتَّهكُّم ... الخ[٢]؟ ومـن الأمثلـة الـتي ذكرها الأفغانيّ، قول الكُميت:

طَرِبْـتُ ومـا شَـوقًا إلى البـيضِ أطْـربُ ولا لَعِبًـا منّـي وذو الـشَّيبِ يلعـبُ[٣]

"فقد قرَّروا أنّ عجزَ البيتِ استفهامٌ، حُذِفت أداته: (**أذو الـشَّيبِ يلعـبُ**)، والقـصدُ مـن الاسـتفهام الإنكـار، وأذهـبُ إلى أنَّـهُ خبرٌ لا اسـتفهامٌ؛ وذلـك أبلـغ، فـإنْ كـان ذو الشَّيبِ يلعبُ أحيانًا –وهـو أمرٌ واقـعٌ– فـإنّي في هـذا المقـام بعيـدٌ عـن اللّعب. ولـو نقلـوا لهجة الشّاعر لحُسِمَ الأمر"[٤].

وقد قصد الأفغانيّ بـ(لهجة الشّاعر): التَّنْغيم. ومثله قول عمر بن أبي ربيعة:

ثُـــمَّ قـــالوا تُحبُّهـــا قلـــتُ بهـــرًا[٥] عـــدد الـــنَّجمِ والحـــصى والـــتُّرابِ[٦]

(١) ينظر: ظـاهرة التَّنْغـيم في البحـث الـصّوتيّ بـين القـديم والحـديث (بحـث): ٣٦، وظـاهرة التَّنْغـيم في التُّـراث العربيّ(بحث): ٩٥.
(٢) ينظر: في أصول النَّحو: ٩٣–٩٤.
(٣) شرح هاشميّات الكُميت: ٥٢.
(٤) في أصول النَّحو: ٩٤ (هامش ١).
(٥) بهرًا: أي أحبُّها حبًّا بهرني بهرًا، أي غَلَبني غلَبَةً.
(6) الدّيوان: ٦٠.

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١/ رمضان ١٤٤٢

إنّ جملة (تُحبُّها) فيها احتمالان[١]:

١- جملةٌ استفهاميَّةٌ حُذِفَت منها همزة الاستفهام: (أتُحبُّها؟)، فتكون الجملة بحاجةٍ إلى إجابة الشّاعر: (قلتُ بهرًا).
٢- جملةٌ خبريَّةٌ: (أنت تُحبُّها). فأكَّدَ لهم حُبَّها، بقوله: (قلتُ بهرًا).

إنّ الفيصل بين هذين الاحتمالين، هو درجة التَّنْغيم، فهو القرينةُ الفاصلةُ في تحديد المعنى الذي كان يقصده الشّاعر، فإذا كانت جملة (تُحبُّها) بنغمةٍ مرتفعةٍ، فهي تفيدُ الاستفهام، وإذا كانت بنغمةٍ هابطةٍ، أو مستويةٍ، فهي تفيدُ الإخبار[٢].

وقد أثار هذا البيتُ خلافًا بين النَّحويّين في جواز حذف حرف الاستفهام (الهمزة)، فهم لا يقبلون الحذف من دون وجودِ قرينةٍ لفظيَّة[٣]، فقد أجازوا: (زيدٌ عندك أم عمرٌو؟)، يريدون: (أزيدٌ عندك أم عمرٌو؟)، فقد دلَّت (أم) على الاستفهام، ولا يجوزُ أنْ تقول: (زيدٌ عندك) وأنت تريدُ الاستفهام[٤].

ونجدُ د. تمّام حسّان هنا قد غيَّرَ من موقفِهِ السّابق الذي نقد فيه النَّحويّين، لعدمِ الالتفاتِ إلى قواعد التَّنْغيم، فهو يرى أنّ تعدُّدَ الاحتمالات في دلالة جملة(تُحبُّها) بسبب حذف حرف الاستفهام، "يبرّرُ موقف القدماء حين حافظوا على ذكر الأدوات باطّراد؛ لأنّ التُّراثَ مكتوبٌ تتَّضحُ فيه العلاقات بالأدوات، وليس منطوقًا تتَّضحُ فيه العلاقات بالنَّغَمات"[٥].

(١) ينظر: مغني اللَّبيب عن كتب الأعاريب: ١ / ٣٧.
(٢) ينظر: ظاهرة التَّنْغيم في العربيَّة(بحث): ١٥٦–١٥٧، وأثر التَّنْغيم في توجيه الأغراض البلاغيَّة لعلم المعاني، الاستفهام أنموذجًا(بحث): ٤٣.
(٣) الحذف يكون في حرفي الاستفهام: (الهمزة)، أو(هل)، والاستغناء بالقرينة للدَّلالة على الاستفهام، ولا يمكنُ الحذفُ مع بقية أدوات الاستفهام، وبقاء دلالة الاستفهام في التَّركيب. ينظر: في النَّحو العربيّ، نقدٌ وتوجيه: ٢٧٦.
(٤) ينظر: أساليب الطَّلب عند النَّحويّين والبلاغيّين: ٣٣٥.
(٥) اللُّغة العربيَّة معناها ومبناها: ٢٢٨.

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١/ رمضان ١٤٤٢

وهناك شواهدُ كثيرةٌ في العربيَّة على حذفِ همزةِ الاستفهام، والاستغناء عنها بقرينةِ التَّنْغيم للدَّلالة على معنى الاستفهام[١]. وقد يكونُ حرفُ الاستفهامِ موجودًا، لكنَّ التَّركيبَ لا يدلُّ على الاستفهام، ويكونُ لقرينةِ التَّنْغيمِ أثرٌ في بيان المعنى، مثالُ ذلك:

حتّى إذا جَنَّ الظَّلامُ واختلَطْ جاءوا بمَذْقٍ[٢] هل رأيت الذّئبَ قَطْ[٣]

جعل الشّاعرُ جملة (هل رأيت الذّئبَ قط) نعتًا لـ(مَذْق)، ولا يجوزُ عند جمهورُ النُّحاة وقوع الجملة الإنشائيَّة نعتًا؛ لذلك أوَّلوا جملة (هل رأيت الذّئبَ قَطْ) معمولًا لقول مُضْمَر، يقعُ صفةً لـ(مَذْق)، والتَّقديرُ: (بمَذْقٍ مقولٍ فيه: هل رأيت الذّئبَ قَطْ)[٤].

يرى د. كمال بشر أنّ جملة (هل رأيتِ الذّئبَ قَطْ)، ليست جملةً استفهاميَّةً بالمعنى الدَّقيق، وإنَّما هي جملةٌ من نوعٍ خاصٍ لغرض التَّوضيح، وهي أقربُ ما تكونُ إلى الجملةِ الخبريَّة؛ ودليلُهُ على ذلك هو(التَّنْغيم)، فَالتَّنْغيمُ في هذه الجملة مختلفٌ عنه في الجملِ الاستفهاميَّة التي تشتملُ على حرف الاستفهام (هل) بـ(نغمةٍ صاعدة)[٥].

ومن المحدثين من يرى أنّ "جملة (هل رأيت الذّئبَ قَطْ) من حيث التَّركيب استفهاميَّة، توجبُ على من ينطقُ بها تأديتها بنمطها الموسيقيّ والتَّنْغيميّ المألوف للجمل الاستفهاميّة المشتملة على (هل)، أي أنّ المعنى وحده ها هنا هو القرينةُ المميّزة والمرجّحَةَ لدلالةِ الجملة وقصديَّةِ الخبر فيها؛ لذا نجد سياق الجملة هو الذي لا يتطلَّبُ الإجابة بـ لا أو نعم، أمّا تركيبها فيتطلَّبُ ذلك"[٦].

(١) ينظر: همزة الاستفهام بين المفهومين النَّحويّ والبلاغيّ(بحث): ١٧٢–١٧٣، وفي النَّحو العربيّ، نقدٌ وتوجيه: ٢٧٥–٢٧٦.

(٢) المَذْقُ: اللَّبنُ الممزوجُ بالماء.

(٣) البيت مجهول النّسبة، استشهدَ به عددٌ من النَّحويّين في عدم جواز وقوع الجملة الإنشائيَّة نعتًا.

(٤) ينظر: المقتصد في شرح الإيضاح: ٢/ ٩١٢، والمفصَّل في صنعة الإعراب: ١٦١.

(٥) ينظر: علم اللُّغة العام، الأصوات: ١٩٥.

(٦) ظاهرة التَّنْغيم في العربيَّة(بحث): ١٥٨.

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١/ رمضان ١٤٤٢

أرى أنّ كلًّا من (السّياق) و(التَّنْغيم)، قد اشتركا معًا في الكشفِ عن دلالةِ هذه الجملة، التي وصفها د. كمال بشر على نحوٍ دقيق.

وقد يشتركُ كلٌّ من (التَّنْغيم) و(السّياق) و(المقام) في الكشفِ عن الأغراضِ المجازيَّة المختلفة للجملِ الاستفهاميَّة[١].

وقد حاول بعضُ المحدثين تقديم تعليلاتٍ لعدمِ تقعيدِ النَّحويّين القدماء للتَّنْغيم في العربيَّة، فقد أكَّدَ د. كمال بشر أنّ علماء العربيَّة القدماء عرفوا التَّنْغيم، ومارسوه في نطقهم –مثل سائر النّاس–وكانوا يأتون به على وجهه الصّحيح بالسّليقة والدُّرْبة، لا بالتَّلْقين أو التَّعلُّيم المرسوم القواعد والقوانين، فالتَّنْغيمُ عندهم عنصرٌ مكمّلٌ للمنطوق، لا ينفكُّ عنه[٢].

وذهب د. يوسف أبو العدوس إلى أنّ النَّحويّين لم يقعدوا للتَّنْغيم في العربيَّة على الرَّغمِ من إدراكهم لأثرِهِ الكبير في توصيلِ المعنى بين المتكلّمِ والسّامع؛ لأنّهُ لم يكنْ له أثرٌ في تغيير الحركةِ الإعرابيَّة[٣]. وقد قال بذلك في معرض حديثه عن مسألة حذف همزة الاستفهام، ولجوء النَّحويّين إلى تقدير المحذوف.

ولا أرى في هذا التَّعليل سببًا كافيًا، كي يتركَ النَّحويّون تسجيل قواعد التَّنْغيم لأسلوبِ الاستفهام في العربيَّة، وهو من أهمِّ الأساليب التي يكونُ لقرينةِ التَّنْغيم فيها أثرٌ في بيانِ دلالتِهِ عند حذفِ حرفي الاستفهام(الهمزة) و(وهل).

وأرجعَ د. مبارك حنون عدم تسجيل قواعد التَّنْغيم لسببين[٤]:

١- إنّ توحيد اللُّغة كان يفرضُ على النَّحويّين وضع معايير تركيبيَّة وصواتيَّة؛ لذا عمدوا إلى استبعاد (لحون) العرب والاختلافات اللَّهجيَّة، ومن هذه اللُّحون الظَّواهر التَّطريزيَّة، التي كانت تختلفُ من قبيلةٍ إلى أخرى، وهذا يعني أنّ

(١) ينظر: أثر التّنْغيم في توجيه الأغراض البلاغيّة لعلم المعاني، الاستفهام أنموذجًا: ٤٣.
(٢) ينظر: علم الأصوات: ٥٤٧.
(٣) ينظر: همزة الاستفهام بين المفهومين النّحويّ والبلاغيّ(بحث): ١٦٧ (هامش ١٠٤).
(٤) في التَّنظيم الإيقاعيّ للُّغة العربيَّة: ٣٤.

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١/ رمضان ١٤٤٢

النَّحويّين قد وضعوا قوالب شكليَّة خالصة، لا ينبغي الانحرافُ عنها، غير أنّ ذلك لا يحولُ دون أنْ تملأ القبائلُ هذه القوالب بخاصّياتها التّطريزيَّة، ومنها التَّنْغيم.

٢- نتيجةً لذلك، لجأ النّحويّون إلى إنابةِ الأدواتِ النَّحويَّة عن الظَّواهر التَّطريزيَّة، فاخْتُزلت تلك الظَّواهر في العلاقاتِ النَّحويَّة الشّكليَّة، فانصهرت في الأدواتِ النَّحويَّة إلى درجةٍ فقدت فيها هويتها وطبيعتها.

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١ / رمضان ١٤٤٢

الخاتمة

١- انقسمت المصطلحات الواردة عند سيبويه وابن جنّيّ، التي ذكرها المحدثون للدَّلالةِ على مفهومِ التَّنْغيم عند النَّحويّين القدَماء، على قسمين: الأوَّل: مصطلحاتٌ اقتربت من مفهوم التَّنْغيم في علمِ الصَّوت اللُّغويّ الحديث، وهي: (إطالةُ الصَّوت) و(التَّطويح) و(التَّطريح) و(التَّفخيم). والثّاني: مصطلحاتٌ لا علاقة لها بمفهوم التَّنْغيم، وهي: (الإشباع) و(التَّثبُّت فيه) و(المُمَاطَلَة) و(التَّطَعُّم) و(النَّغَم). ومن تلك المصطلحات ما هو مترادفٌ، كما في مصطلحي: (التَّفخيم) و(التَّعظيم)، والمصطلحات: (إطالة الصَّوت) و(مدّ الصَّوت) و(التَّمْطيط). وقد بالغ بعضُ المحدثين في دقَّةِ دلالةِ عددٍ من المصطلحات على مفهوم التَّنْغيم، لاسيّما مصطلحات ابن جنّيّ: التَّطويح، والتَّطريح، التَّفخيم.

٢- إنّ المحدثين الذين وجَّهوا نقدًا إلى النَّحويّين القدماء؛ لأنَّهم لم يقعّدوا للتَّنْغيم في العربيَّة الفصحى، لم يلتفتوا إلى أنّ وضعَ قواعد للتَّنْغيم في أيّ لغةٍ يتطلَّبُ تقنيّات المختبرِ الصَّوتيّ، التي لم تكن موجودة في زمن القدماء، وهي متوافرةٌ عند المحدثين؛ وعلى الرَّغم من توافرها عند المحدثين فإنّ محاولة بعضهم وضع قواعد للتَّنْغيم في العربيَّة المعاصرة لم يكنْ بالأمر اليسير؛ لاختلافِ العادات النُّطقيَّة واللَّهجيَّة لكلّ بلدٍ عربيّ، فكيف يحاسَبُ القدماء على عدمِ وضعِ قواعدَ للتَّنْغيم؟

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١/ رمضان ١٤٤٢

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١ / رمضان ١٤٤٢

المصادر والمراجع

أوَّلًا: الكتب:

١- أساليب الطَّلب عند النَّحويّين والبلاغيّين، د. قيس إسماعيل الأوسيّ، ط١، بيت الحكمة، بغداد، ١٩٨٨م.

٢- الأشباه والنَّظائر، جلال الدّين السّيوطيّ (ت٩١١هـ)، تحقيق: إبراهيم محمّد عبد الله، مجمع اللُّغة العربيَّة، دمشق، ١٩٨٦م.

٣- الأصوات واللَّهجات قديمًا وحديثًا، د. نادية رمضان النَّجار، دار غريب، القاهرة، ٢٠١٤م.

٤- التّطوّر النَّحويّ للُّغة العربيَّة، محاضراتٌ ألقاها في الجامعة المصريَّة المستشرق الألمانيّ برجشتراسر، العام ١٩٢٩م، أخرجَهَ وصحَّحَهُ وعلَّقَ عليه د. رمضان عبد التَّوّاب، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٥- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جنّيّ (ت٣٩٢ه)، تحقيق: محمّد علي النَّجّار، دار الكتاب العربيّ، بيروت، (د. ت).

٦- الدّراسات الصَّوتيَّة عند العلماء العرب والدَّرس الصَّوتيّ الحديث، د. حسام البهنساوي، ط١، مكتبة زهراء الشّرق، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٧- دراسة السَّمع والكلام، صوتيّات اللُّغة من الإنتاج إلى الإدراك، د. سعد عبد العزيز مصلوح، ط٢، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٨- الدّلالة الصَّوتيَّة في اللُّغة العربيَّة، د. صالح سليم الفاخري، مؤسّسة الثَّقافة الجامعيَّة، الإسكندريَّة، مصر، ٢٠٠٧م.

٩- ديوان أبي خِراش الهُذليّ، إعداد وشرح لجنة التَّحقيق في دار القلم العربيّ، مراجعة: أحمد عبد الله فرهود، منشورات دار القلم العربيّ، حلب، سوريا، ط١، ١٤١٧ه/ ١٩٩٦م.

١٠- ديوان جميل بُثينة، شعر الحبّ العُذريّ، جمع وتحقيق وشرح: د. حسين نصّار، النّاشر مكتبة مصر، القاهرة، (د.ت).

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١/ رمضان ١٤٤٢

١١- ديوان عمر بن أبي ربيعة، دار صادر، بيروت، ط٣، ٢٠١٢م.
١٢- سرُّ صناعة الإعراب، ابن جنّيّ، تحقيق: د. حسن هنداوي، ط٢، دار القلم، دمشق، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
١٣- شرح المفصَّل، موفّق الدّين يعيش بن عليّ بن يعيش النَّحويّ (ت٦٤٣هـ)، تحقيق: أحمد السّيّد سيّد أحمد، المكتبة التَّوفيقيَّة، القاهرة، (د. ت).
١٤- شرح هاشميّات الكُميت بن زيد الأسديّ، تحقيق: د. داود سلّوم، و د. نوري حمّودي القيسيّ، ط١، مكتبة النَّهضة العربيَّة، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
١٥- علم الأصوات، د. كمال بشر، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م.
١٦- علم الأصوات الكلاميَّة، د. محمود إبراهيم السّلامي، مكتبة دار المتنبيّ، الرّياض، السّعوديّة، ١٤٣٩هـ.
١٧- علم الصَّوتيّات، د. عبد العزيز أحمد علّام، و د. عبد الله ربيع محمود، ط٣، مكتبة الرُّشد ناشرون، الرّياض، السّعوديّة، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤ م.
١٨- علم اللُّغة العام، الأصوات، د. كمال بشر، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٥م.
١٩- في أصول النَّحو، سعيد الأفغانيّ، دار الفكر، دمشق، (د. ت).
٢٠- في البحث الصَّوتيّ عند العرب، د. خليل إبراهيم العطيَّة، دار الجاحظ للنَّشر، بغداد، ١٩٨٣م.
٢١- في التّنظيم الإيقاعيّ للُّغة العربيَّة، نموذج الوقف، د. مبارك حنون، ط١، الدّار العربيَّة للعلوم ناشرون، بيروت، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
٢٢- في النَّحو العربيّ، نقدٌ وتوجيه، د. مهدي المخزوميّ، ط٢، دار الرّائد العربيّ، بيروت، ١٤٠٦ه/ ١٩٨٦م.
٢٣- الكتاب: سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السّلام محمَّد هارون، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١/ رمضان ١٤٤٢

٢٤- لسان العرب: أبو الفضل جمال الدّين محمَّد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ)، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.
٢٥- اللُّغة العربيَّة معناها ومبناها، د. تمّام حسّان، ط٤، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
٢٦- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جنّيّ، تحقيق: علي النّجدي ناصف، ود. عبد الحليم النَّجّار، ود. عبد الفتّاح إسماعيل شلبي، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشّؤون الإسلاميّة، القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.
٢٧- المدخل إلى علم اللُّغة ومناهج البحث اللُّغويّ، د. رمضان عبد التَّوّاب، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
٢٨- المصطلح الصَّوتيّ عند علماء العربيَّة القدماء في ضوء علم اللُّغة المعاصر، د. عبد القادر مرعي الخليل، ط١، جامعة مؤتة، الأردن، ١٩٩٣م.
٢٩- مغني اللَّبيب عن كتب الأعاريب: عبد الله جمال الدّين ابن هشام الأنصاريّ(٧٦١هـ)، تحقيق محمَّد محيي الدّين عبد الحميد، دار الطَّلائع، القاهرة، ٢٠٠٩م.
٣٠- المفصّل في صنعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشريّ (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: د. خالد إسماعيل حسّان، مراجعة د. رمضان عبد التَّوّاب، ط٢، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩.
٣١- المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجّرجانيّ (ت ٤٧١هـ)، تحقيق: د. كاظم بحر المرجان، منشورات وزارة الثَّقافة والإعلام، دار الرّشيد، الجمهوريَّة العراقيَّة، ١٩٨٢م.
٣٢- من وظائف الصَّوت اللُّغويّ، د. أحمد كشك، ط١، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٧م.
٣٣- النَّحو العربيّ والدَّرس الحديث، بحثٌ في المنهج، د. عبده الرّاجحي، دار النَّهضة العربيَّة، بيروت، ١٩٧٩م.
٣٤- النَّحو والسّياق الصَّوتيّ، د. أحمد كشك، دار غريب، القاهرة، ٢٠١٠م.

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١/ رمضان ١٤٤٢

ثانيًا: البحوث:

١- أثرُ التَّنْغيم في توجيه الأغراض البلاغيَّة لعلم المعاني، الاستفهام أنموذجًا، د. مزاحم مطر حسين، مجلَّة جامعة القادسيَّة، العراق، ع٣-٤، م٦، ٢٠٠٧م.

٢- أثرُ التَّنْغيم في التَّوجيه النَّحويّ والدَّلاليّ، د. هاتف بريهي شياع، مجلَّة العلوم الإنسانيَّة، كليّة التَّربية للعلوم الإنسانيَّة، جامعة بابل، م١، ع١٦، ٢٠١٣م.

٣- أسلوبُ النّداء دراسةٌ لغويَّةٌ صوتيَّةٌ، د. طارق عبد عون الجنابيّ، نُشِرَ في الكتابِ التَّكريميّ للمستشرق فولفديتريش فيشر، إعداد وإصدار د. هاشم إسماعيل الأيّوبيّ، ط١، جرس برس، طرابلس، لبنان، ١٩٩٤م.

٤- التَّنْغيمُ عند ابن جنّيّ، أحمد البايبي، مجلَّة آفاق الثَّقافة والتُّراث، مركز جمعة الماجد للثَّقافة والتُّراث، دبي، ع٤١، ١٤٢٤ه/ ٢٠٠٣م.

٥- التَّنْغيمُ في إطار النّظام النَّحويّ، د. أحمد علي الغريب، مجلَّة جامعة أم القرى، السّعوديَّة، ع١٤، ١٤١٧ه/ ١٩٩٦م.

٦- ظاهرةُ التَّنْغيم في البحث الصَّوتيّ بين القديم والحديث، د. آمنة بن مالك، مجلَّة كليَّة الآداب، جامعة قسنطينة، الجزائر، ع٢، ١٩٩٥م.

٧- ظاهرةُ التَّنْغيم في التُّراث العربيّ، هايل محمَّد طالب، مجلَّة التُّراث العربيّ، اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، م٢٣، ع٩١، ١٤٢٤ه/ ٢٠٠٣م.

٨- ظاهرةُ التَّنْغيم في العربيَّة، الاء حسين داود الشّرع، ودريد عبد الجليل الشّاروط، مجلَّة جامعة القادسيّة، العراق، م٣، ع١، ١٤٣٥ه/ ٢٠٠٤م.

٩- قضايا صوتيَّة في النَّحو العربيّ، د. طارق عبد عون الجنابيّ، مجلَّة المجمع العلميّ العراقيّ، ج٢، وج٣، م٣٨، ١٤٠٧ه/ ١٩٨٧م.

١٠- همزةُ الاستفهام بين المفهومين النَّحويّ والبلاغيّ، د. يوسف أبو العدوس، مجلَّة جامعة مؤتَة، الأردن، م٢، ع٢، ١٩٨٧م.

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١/ رمضان ١٤٤٢

ثالثًا: الرَّسائل:

١- دورُ التَّنْغيم في تحديد معنى الجملة العربيَّة (دراسةٌ لغويَّةٌ تطبيقيَّةٌ)، زلفى سليمان خالد، بحثٌ تكميليٌّ لنيل درجة الماجستير في اللُّغة العربيَّة، جامعة الجزيرة، كليَّة التَّربية، السّودان، ٢٠١٦م.
٢- الوحداتُ غير المقطعيَّة في اللُّغة العربيَّة، ندى صالح يوسف، رسالة ماجستير، كليَّة الآداب، جامعة بغداد، ١٤١٦ ه/ ١٩٩٦م.

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١/ رمضان ١٤٤٢

ISSN: 2789- 1771
العدد (صفر). نيسان ٢٠٢١ / رمضان ١٤٤٢